1-في مفهوم الأسلوبية:

أ.الأسلوبية في المباحث العربية :

يقول (عدنان حسين قاسم): "ليس ضروريا أن تتلبس السمة الأسلوبية شكلا بلاغيا جاهزا، كأن تكون استعارة أو رمزا أو مقابلة تصويرية، وإنما تكون وسيلة التعرف إليها، هي مفاجأة القارئ وإدهاشه، وهذا هو مركز الفن عند فلاسفة الجمال على اختلاف توجهاتهم."

ويبرز (محمد عبد المطلب) نظرته في قوله: "إن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد."

ويذهب (رجاء عيد) إلى أن "الأسلوبية تستشف الجانب الإبداعي من خلال الموضوع القار في النص نفسه، ومنه نستكشف قيمه الأدبية بواسطة تشكيلاته اللغوية."

وعند (شفيع السيد)، الأسلوبية "هي دراسة منهجية للتعبير الأدبي، لكنها لا ترقى إلى أن تكون دراسة علمية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة

ويحدد (أحمد درويش) الأسلوبية بقوله: " تعني الوصول إلى وصف وتقييم علمي محدد لجماليات التعبير في مجال الدراسات الأدبية واللغوية على نحو خاص، ولا تكاد تتعداها إلى غيرها من المجالات."

ب.الأسلوبية في المباحث الغربية:

يرى (جاكبسون)" (Jakobson) أن "الأسلوبية بحث عما يتميز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب، أولا، ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية، ثانيا".

ويحصر (شارل بالي) (Charles Bally)مجال الأسلوبية في كونها :" تدرس الوقائع المتعلقة بالتعبير اللغوي من وجهة محتواها الوجداني، أي التعبيرية اللغوية عن وقائع الوجدان وآثرها بالتالي على حساسية الآخرين."[1]

ويذهب (جاكبسون) (Jacobson)"بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا."

وهناك من عرفها بأنها " تستشف الجانب الإبداعي من خلال الموضوع القار في النص نفسه، ومنه نستكشف قيمه الأدبية بواسطة تشكيلاته اللغوية..."

فيلي ساندريس عرف الأسلوبية:"أنها علم يدرس الصيغ التعبيرية في لغة الأثر-النص-استنادا إلى مضمونها المؤثر أي أنها دراسة الأفعال و الممارسات التعبيرية في اللغة المنظمة إلى حد رؤية أثرها المضموني،وذلك من حيث التعبير عن الوجدانية باللغة ،ورؤية أثر الأفعال اللغوية في الوجدان الحسي".[2]

2-نشأة الأسلوبية وتطورها

ظهرت كلمة "الأسلوبية" خلال القرن التاسع عشر عند الغربيين، لكنها لم تصل إلى معنى محدد إلا في بداية القرن العشرين ، وكان هذا التحديد مرتبطا بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة ؛ فحين ظهرت بوادر النهضة في الغرب، فيما سمي "بالفيلولوجيا"، أكدت الصلة بين المباحث اللغوية والأدب لأنها لم تنظر إلى الدراسة اللغوية باعتبارها هدفا مقصودا لذاته، بل باعتبارها انفتاحا ثقافيا فكريا جديدا، ومن هنا كان هناك نوع من الاهتمام بدراسة النصوص القديمة وخاصة في جوانبها اللغوية، وظل الأمر كذلك

إلى أن وضع (دي سوسير) (Ferdinand De Saussure) أسس علم اللغة الحديث، وهي أسس يمكن تلخيصها في عدة نقاط :

1. العلاقة بين اللغة والحديث، أو بين عناصر الوراثة في اللغة، والاستخدام الخاص الذي يزاوله الناس في الحديث، وقد كان في رأيه عزل اللغة ودراستها بوصفها نظاما اجتماعيا، وأن هذا النظام يمثل الأوضاع المألوفة التي تترابط في وحدة من المعاني والأفكار المستقرة في ذهن الإنسان، فاللغة في جوهرها نظام للعلاقات.

2. تحليل الرموز اللغوية، وذلك باعتبارها من المسميات اللغوية ليست سوى مفاهيم ترتبط بذهن من ينطقها.

3. دراسة التركيب العام للنظام اللغوي، حيث أنه لا علاقة بين صوت الكلمة ومفهومها، لأن المفهوم لا يتحدد إلا في ذهن الإنسان.

4. التفرقة بين مناهج الدراسة الوصفية ومناهجها التاريخية، وقد فصل بين المنهجين، ووجه اهتمامه بشكل واضح إلى الناحية الوصفية. ثم جاء بعده تلميذه(بالي) (Bally)، حيث نشر دراسة موسعة عن أهداف وقواعد الأسلوبية، إلا أن دراسته وقع حولها الشك.

أما(سبتزر) (Spitzer) فقد أدت جهوده إلى ردود فعل مضادة ذات تأثير فعال، وقد ركز حول العلاقة القائمة بين العناصر الأسلوبية والعالم النفسي للكاتب، متأثرا بما قدمه (فرويد) (Freud) من نظريات حول اللاشعور.

اتجه (فرويد) (Freud) إلى إثبات الخصائص الأسلوبية التي تميز كل كاتب، والتي لها علاقة طبيعية تكرارية منتظمة في علمه، والتي لها ارتباط بمراكز عاطفية، وبذلك تمكن (سبترز) (Spitzer) أن يخلق صلة قوية بين علم اللغة والأدب عبر "الأسس النفسية الفرويدية"، بينما نادى (جولز ماروزو) (Jules Marouzeau) بحق الأسلوبية في الوجود، حيث قام بمحاولة إعادة اللغة الأدبية إلى مجال البحث الأسلوبي، فركز على المحسوس والمجرد، والمجمل والمفصل، والحقيقة والمجاز، كما اهتم بنوع خاص بقواعد تنظيم الكلمات والإيقاع والحركة في الجملة والأساليب المهجورة والغريب واللغة المكتوبة والمنطوقة."

"ونجد العالم الإسباني (داما سو ألونسو) (Damaso Alonso)الذي اتجه إلى مطابقة النقد الأدبي مع الأسلوبية من خلال تقويمه للشعر الإسباني بحاسة ذوقية جديدة، وهذه الدراسة عنده تمثل دراسة كل شيء يبرز خصوصية العمل الأدبي، مع الاهتمام بالناحية السطحية لخدمة المضمون الذي يتعلق بالمعنى وبالتأثير.

وقد كانت الشكلانية الروسية من أهم روافد الدرس اللغوي والأسلوبي؛ ففي سنة 1915 تكونت "حلقة موسكو اللغوية" من طلبة الدراسات العليا كحركة تهدف إلى القضاء على المناهج القديمة في الدراسات اللغوية والنقدية، ومحاولة التحرر من الرمزيين لتحرير الكلمة الشعرية من الاتجاهات الفلسفية والدينية المتصوفة التي أثقلها بها هؤلاء الرمزيين، بحيث تنطلق من إبصار الدلالة الوضعية لترتبط بالسياق الكلي للعمل الأدبي، مع إعطاء الجانب اللغوي والموسيقي أهمية خاصة، وتوظيف الإيقاع والوحدات الصوتية والتركيبية بما يثري الشكل الأدبي.

وتأتي "المدرسة الألمانية" التي أدت دورا بارزا في تطبيق المفاهيم اللغوية على الأدب، ومفهوم اللغة عند (قوسلر) (Karlvossler)طاقة ونشاط خلاق، وهي بديهة وتعبير عن الروح، كما أنه يطلق على النظام الذي يدرس اللغة في علاقتها بالخلق النظري، الفردي والفني اسم الأسلوبية أو النقد الأسلوبي.

وفي سنة 1948 حاول (رينيه ويليك) (René Wellek) و(أوستين وارين) (Austin Warren) في معالجتهما للنظرية الأدبية تأصيل البحث لبناء أصول المناهج النقدية، وأقاما هذا

التأصيل على مقارنة المنهج العلمي للدراسات الإنسانية، بمناهج العلوم التجريبية. وقد توصلا إلى أن الأدب تتحقق طبيعته من خلال اللغة واللون والصوت، التي تستمد معالمها من اللغويات والأسلوبيات.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية ،و بالضبط في سنة 1960، فقد انعقدت بجامعة (إنديانا) ندوة عالمية حول "الدراسات الأسلوبية" وألقى فيها (جاكبسون)(Roman Jacobson) محاضرته حول (اللغة والإنشاء)، مشيرا إلى العلاقة التي تربط بين الدراسة اللغوية والأدب."

ومن خلال ما قيل، يمكن القول إن هذه الدراسات قد ربطت بين التنظير والتقعيد العلمي، مما أدى إلى فصل الأسلوبية عن علم اللغة، كما تمنح المحاولات المنهجية دفعة هامة، لتؤكد العلاقة المتينة بين النص الأدبي وطبيعته اللغوية."

يرى الباحثون الذين أرّخوا لنشأة الأسلوبية أن لفظة"الأسلوبية" برزت في الساحة الأدبية في القرن التاسع عشر على يد الغربيين، ولكنها لم تبلغ مستوى النضج إلا في بداية القرن العشرين بفضل جهود علماء اللغة، حين ظهرت (الفيلولوجيا) التي قامت بعقد الصلة بين أبحاث علم اللغة والأدب، بهدف التفتح على مختلف العلوم، وعدم الانغلاق على الثقافات الأخرى؛ إذ شرع في عملية التنقيب عن النصوص القديمة ودراستها من كل جوانبها اللغوية، واستمر الحال على ذلك النحو إلى أن جاء العالم النمساوي(دي سوسير) (Ferdinand de Saussure) الذي أسس (علم اللغة الحديث)، وتتمثل هذه الأسس في التأكيد على العلاقة القائمة بين اللغة والكلام والعناصر التي تربط الوراثة باللغة والاستعمال الفردي لها بين الناس، إذ قام بعزل ودراسة اللغة باعتبارها قانونا اجتماعيا لا يمكن أن نحيد عنه. ثم يتم الشروع في تحليل مختلف الرموز اللغوية التي اصطلح أفرادها على مسمياتها. وبعدها تتم دراسة وتركيب النظام اللغوي، إذ أكد أنه لا توجد علاقة بين الكلمة وماهيتها،لأن المفهوم يضعه الإنسان في ذهنه قبل الشروع في التلفظ به. كما قام بالفصل بين المنهج الوصفي والتاريخي، إذ اهتم بالجانب الوصفي أكثر لوصف الأحداث، ولتوضيح وتقريب الصورة.

وبعد هذه الجهود ظهر تلميذ (دي سوسيير) (Ferdinand de Saussure) وهو(شال بالي) (Charles Bally)إذ قام بوضع دراسة معمقة وسن القوانين الأساسية التي تعتمد عليها الدراسة الأسلوبية. إلا أن المدرسة الفرنسية الأسلوبية، ساهمت في إطفاء شعلة الأبحاث التي قام بها (شارل بالي)(Charles Bally)عن طريق تأثرها بأبحاث (سبتزر) (Spitzer)و(لا نسون) (Linsang)، إذ يعد هذا الأخير من بين الرواد الذين اقتدى به تلاميذ المدرسة الفرنسية، باعتباره من العلماء الذين اهتموا بالإتقان والموضوعية في التكوين والإتيان بالحقائق كما هي، لأنه كان يهتم بالإنسان بالدرجة الأولى، وبمختلف الحقب التاريخية التي مر بها، كما اعتنى أيضا بالآداب المختلفة، والعلاقة القائمة بين الكاتب وإنتاجه الأدبي.

أما محاولات (سبتزر) (Spitzer)فقد انصبت حول العلاقات التي تربط الوحدات الأسلوبية بالعالم النفسي للمؤلف، متأثرا بالأفكار اللاشعورية التي جاء بها العالم النفساني (فرويد) (Freud)؛ إذ ساهم في ترسيخ السمات الأسلوبية التي يتم بوساطتها التمييز بين كل مؤلف والتي ترتبط بعملية التكرار التي نجدها في بحثه عن طريق مختلف الشحنات العاطفية التي يوظفها أثناء إعداده البحث. استطاع (سبتزر) (Spitzer)، أن ينتج علاقة وطيدة بين علم اللغة والأدب عن طريق القواعد النفسية التي أرساها (فرويد) (Freud)، بينما سعى العالم (جولز ماروزو) (Jules Marouzeau) إلى شرعية الأسلوبية في البروز؛ إذ حاول إدراج اللغة الأدبية ضمن البحث الأسلوبي فاهتم بدراسة الأشياء المجردة والمحسوسة، وبترتيب الألفاظ والجملة واللغة المنطوقة والمكتوبة...

أما فيما يخص العالم الإسباني (داما سو ألونسو) (Damaso Alonso) الذي سعى إلى عقد صلة بين النقد الأدبي والأسلوبية، عن طريق ترقيع وخدمة الشعر الاسباني، بإدخال لوحة جمالية وجديدة على هذا الشعر، كما درسه دراسة معمقة، إذ لم يغفل الجانب الشكلي، للتعرف أكثر على الجانب الجمالي الذي يحتله المضمون أيضا.

ويعد الشكلانيون الروس من أهم الرواد الذين اهتموا بالدرس اللغوي والأسلوبي، إذ تكونت سنة 1915 (حلقة موسكو اللغوية) على يد جماعة من طلبة الجامعة لمحاربة كل المناهج العتيقة في كل من الدراسات اللغوية والنقدية، وفك القيود التي فرضها الرمز يون في الاتجاهات الفلسفية والدينية، بمنح الحرية المطلقة للشعراء للتعبير عن كل ما يختلج في نفوسهم من مشاعر، وإخراجها في شكل موسيقى، مع إدماج المستوى الصوتي والتركيبي ليشكّل لوحة أدبية بأتمّ معنى الكلمة.

كما أدت (المدرسة الألمانية) دورا في دراسة المفاهيم اللغوية وتطبيقها على الأدب.